أبو العلاء المعري ورسالته

الصاهل والشاحج

ما مررتُ يوماً بمعرة النعمان في طريقي إلى مدينة - حلب- أو في طريق عودتي إلى العاصمة السورية -دمشق- إلا ورجعتُ بمخيلتي القهقرى عشرة قرون أو تزيد، لأعرّج على بيت فسيح الأرجاء موطد الأركان عليه سيماء الأبهة والوقار، ذلك هو بيت قاضيها -عبد الله بن سليمان- سليل الأسرة التنوخية الباذخة في عراقة أصولها وأحسابها وأمجادها.

وألمح أول ما ألمح في فناء المنزل طفلاً مجدوراً ذهب مرض الجدري بنور عينيه فأصبح ضريراً يتلمس طريقه بعناء في أرجاء الدار، وإن كانت مخايل الذكاء لا تفارق قسمات وجهه الطفلي الحزين.

هذا الطفل القابع في زاوية من زوايا المنزل الكبيرة العريقة بثوبه الأحمر الفضفاض، هو نفسه شاعر المعرة الخالد وأديبها العظيم وحكيمها وفيلسوفها الذي لم تشهد له ديار العروبة من أقصاها إلى أقصاها مثيلاً.

ومعرة النعمان هذه التي شرفت بإنجاب مثل هذا الرجل العظيم. هي مدينة صغيرة، بل قل بلدة كبيرة تتوسط المسافة بين مدينتي -حلب- و-حماة- وتقوم على بقعة طيبة الهواء معتدلة المناخ، تحيط بها كروم العنب والتين وأشجار الزيتون والفستق، وتعتبر من أجمل مصايف سورية الشمالية. وهي موجودة على بقعتها تلك منذ أقدم الأزمنة، ويقال إنها سُمّيت بمعرة النعمان نسبة